دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: فقه التعبد
المصدر: التوحيد
الناشر: جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي: المراكبي، جمال
المجلد/العدد: س 30, ع 3
محكمة: لا
التاريخ الميلادي: 2001
الشهر: ربيع الأول
الصفحات: 8 - 13
رقم MD: 161467
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo
مواضيع: الفقه الإسلامي ، العبادات
رابط: http://search.mandumah.com/Record/161467

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فقه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فإن الخير كل الخير في الفقه في الدين ، الفقه الذي يدعو إلى العمل ، ويحقق الخشية من الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

فيعبد المؤمن ربه رغبة ورهبة وحبًا ، وخوفًا وطمعًا ، ويستعين العبد بربه وخالقه في تحقيق ذلك كله وفي الاستمرار والدوام عليه حتى يأتيه اليقين ، فيلقى الله عز وجل وهو عنه راض ، فتتلقاه ملائكة الرحمة بالبشرى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠- ٣٢] .

ولهذا كان الخير ، وكانت السعادة في الدنيا والآخرة في فقه يوصل إلى هذه الغاية ، ويحقق الفلاح والنجاح للعبد ، بينما أكثر الناس في خسران مبين ، ضلوا عن الإيمان وعن العمل الصالح فباءوا بالخسران : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢] .

ولهذا حثنا النبي ﷺ على التفقه في دين الله عز وجل علمًا وعملاً ودعوة ، فقال : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » . وبيّن أن هذا الخير يأتي من عند الله ، بهدايته وتوفيقه ، وأن الرسول ﷺ مبلغ لما أعطى الله من هذا الخير ، فقال في نفس الحديث : « وإنما أنا قاسم والله يُعطي » . وبيّن أن هذا الخير لن ينقطع في هذه الأمة ، فقال : « ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » . ومراد النبي ﷺ ليس عموم الأمة ، وإنما الطائفة المنصورة الناجية بدليل قوله في رواية أخرى : « ولن تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم

• من الفقه أن يشغل الإنسان وقته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويعلم أن الآخرة خيرا وأبقى فيسعى إلى كل ما يقربه إلى الله من العمل الصالح

التعبد

بقلم: د/ جمال المراكبى

على ذلك » . وهي الطائفة التي تحفظ دين اللَّه وتقوم عليه علمًا وعملاً ودعوةً رغم تواتر الفتن ، حتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم فيقتل المسيح الدجال .

الغاية من الخلق :

اللَّه سبحانه وتعالى خلق الخلق لغاية وحكمة هي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦- ٥٨] .

وهذه الغاية تشمل الخلائق جميعًا ، ولا يختص الجن والإنس إلا بعبودية الاختيار التي هي مناط الابتلاء والاختبار وعليها مدار التكليف ، وهي الأمانة التي أشفقت الخلائق جميعًا من حملها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً ؛ ولهذا كان تأويل قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ بمعنى إلا لآمرهم بعبادتي ، ثم يكون الابتلاء ، فمنهم من يحقق العبودية للَّه حقًا ، ومنهم من يرفضها ويتحلل منها ومن تكليفاتها .

وعلى هذا فالعبادة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : عبادة عامة جبل اللَّه عليها الخلائق فلم يشذ عنها أحد ، فكل ما في الكون خلقه وملكه وفي قبضته وتدبيره وتصريفه ، يحكمهم اللَّه سبحانه بإرادته وقدره : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

والقسم الثاني : عبادة اختيار ، وهي التي اختص بها الإنس والجن ، وأشفقت الكائنات جميعًا منها ومن حملها ، وهي التي عليها مدار الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] ، وقد جمع اللَّه سبحانه نوعي العبادة في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ

• لا يفرط المسلم في فريضة فرضها الله عز وجل عليه، إلا إذا كان عاجزا عجزا يزيل عنه التكليف بها، ولا ينشغل بنوافل الطاعات عن آداء الفرائض المكتوبات

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

ولا شك أن العبودية الاختيارية هي أشرف القسمين لا يقوم بها إلا من وفقه اللَّه وحده وأكرمه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولهذا كانت أعظم منزلة يتطلع إليها العباد ، وقد حقق النبي ﷺ المثل الأعلى فيها فوفقه اللَّه إليها ، وجعله لعباده أسوة حسنة ، وقدوة يقتدي به المفلحون من عباده ، وشرفه اللَّه تعالى بها في الدنيا والآخرة ، فنال بها أشرف مقام ، ففي مقام الوحي وأنزل القرآن : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وفي مقام الدعوة إلى اللَّه : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩] .

وفي مقام التحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وفي مقام الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ [الإسراء : ١] .

وفي مقام الحفظ والكفاية : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وفي الآخرة شرفه بها فبعثه مقامًا محمودًا ، وخصه بمنزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد نال شرف الدنيا والآخرة وهي منزلة الوسيلة .

العبادة لب التوحيد ، وحق الله على العبيد :

فتوحيد اللَّه عز وجل يقتضي الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته ، والعبادة هي طاعة اللَّه تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وهي اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فمن عرف اللَّه تبارك وتعالى ربًا خالقًا رازقًا مالكًا مدبرًا متصرفًا في شئون خلقه ، وعرف اللَّه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أفرده سبحانه وتعالى بالعبادة .

ومتى أقر العبد بتوحيد اللَّه عز وجل ، وتوجه إليه وحده بالعبادة فقد حقق الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح

• **من فقه التعبد التحقق من شروط العبادة، وشروط صحتها، وشروط كمالها وتمامها، فلا تقوم العبادة إلا بتحقيق الإخلاص لله تعالى....**

والأركان ، وصار عابدًا للّه سبحانه بقلبه وجوارحه وكل كيانه .

« ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ، ألا وهي القلب » . البخاري .

وأكثر أهل الكفر يؤمنون بوجود اللّه وبربوبيته ، وببعض أسمائه وصفاته ، ولكنهم مع ذلك لا يسلمون له بالوحدانية ، بل يشركون معه غيره في العبادة ، فيقعون في تناقض عجيب . قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٩] ، وهم مع ذلك ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات : ٣٥، ٣٦] ، ويقولون : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] ، ويبررون الشرك باللّه فيقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

ولأجل هذا كانت دعوة الرسل جميعًا إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له ، ونبذ ما يُعبد من دونه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

فالعبادة خالص حق اللّه سبحانه ، لا ينبغي صرفها لغيره ، وفي هذا يقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : « هل تدري ما حق اللّه على عباده ؟ حق اللّه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا » .

عجز الإنسان عن أداء هذا الحق على الوجه الأكمل :

والإنسان مهما أوتي من قوة لا يستطيع القيام بواجب العبادة على الوجه الأكمل الذي يستحقه اللّه عز وجل ، ولو صرف حياته كلها في طاعة اللّه ، ولهذا كان المؤمن محتاجًا لمعونة ربه وهدايته دائمًا للقيام بهذا الحق ، ولهذا علمنا اللّه أن نقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٥، ٦] .

وعلمنا النبي ﷺ أن نقول دبر كل صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . وأن نستغفر اللّه دبر كل صلاة معتذرين عن هذا التقصير ، متمثلين قول الملائكة الذين عبدوا اللّه طيلة عمر الدنيا : « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، إلا أنا لا نشرك بك شيئًا » .

ولهذا كلما نظر الإنسان إلى مِنة اللّه وتوفيقه ، ونظر إلى ضعف نفسه وتقصيره ، كلما كانت عبادته للّه أكمل : « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

• من كمال العبادة النصح لله عز وجل فيها، فيؤدى الواجبات على أكمل وجوهها، ويتقي المحارم كلها، يدفعه لذلك كمال محبته لله وكمال خوفه وخشيته منه..

لأجل هذا كان من فقه التعبد التحقق من شروط العبادة ؛ شروط صحتها ، وشروط كمالها وتمامها ، فلا تقوم العبادة إلا بتحقيق الإخلاص للّه تعالى وبتجريد متابعة النبي ﷺ فيها ، فمن ترك الإخلاص فهو مشرك يريد بعبادته غير اللّه ، ومن ترك متابعة النبي ﷺ فعبادته مردودة عليه : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ومن كمال العبادة النصح للّه عز وجل فيها ، فيؤدي الواجبات على أكمل وجوهها ، ويتقي المحارم كلها ، يدفعه لذلك كمال محبته للّه ، وكمال خوفه وخشيته منه ورجائه لما عنده من النعيم ، ويترتب على ذلك أن يجتهد العبد كذلك في التقرب إلى اللّه تعالى بفعل السنن ونوافل الطاعات وترك المكروهات ، ثم يسعى بعد ذلك بالنية الصادقة الخالصة إلى أن تكون الأعمال المباحات مما يطلب بها رضاء ربه فتكون كالقربات المندوبات ، متمثلاً قول النبي ﷺ لسعد : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه إلا أُجرت عليها ، حتى ما تجعل في في امرأتك » . وقوله : « وفي بضع أحدكم صدقة » .

فيتوصل العبد بذلك إلى مقام يعبد فيه اللّه كأنه يراه ، وهو مقام الإحسان في العبادة ، ولا يصدق العبد في ذلك إلا بشهود منة اللّه تعالى عليه ومعونته وهدايته والاعتراف بعجز نفسه وتقصيرها على الوجه الذي بيناه .

ومن فقه التعبد أن يحرص الإنسان على فعل الواجبات وترك المحرمات ؛ لأنه يعلم أن ذلك أحب ما يتقرب به العبد إلى اللّه ، وهو طريق محبته وولايته : « وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه » . رواه البخاري .

فلا يفرط في فريضة فرضها اللّه عز وجل ، إلا إذا كان عاجزًا عجزًا يُزيل عنه التكليف بها : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، ولا ينشغل بنوافل الطاعات عن أداء الفرائض المكتوبات ، فمن انشغل بالفرائض عن النوافل فهو معذور ، ومن انشغل بالنوافل عن الفرائض فهو مغرور ، فكيف بمن اشتغل عن الفرائض بمباحات الدنيا وزينتها أو اشتغل عنها بما لا يحبه اللّه ولا يرضاه .

ومن الفقه أن يشغل الإنسان وقته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويعلم أن الآخرة خير وأبقى ، فيسعى إلى كل ما يقربه إلى اللّه من العمل الصالح ، فيحفز نفسه ويتنافس مع غيره من عباد اللّه المؤمنين في فعل

العبادة خالص حق الله سبحانه لا ينبغي صرفها لغيره، ولأجل هذا كانت دعوة الرسل جميعاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يُعبد من دونه..

الخيرات لنيل الدرجات والمنازل العالية في جنات النعيم .

والمؤمن يعلم أن ناسًا أتعبوا أنفسهم في عبادة اللّه تعالى بغير علم وبغير هدًى من اللّه فضلوا وأضلوا ، ولا تزال آثارهم في الصوامع والمعابد والأديرة ، وهؤلاء لا ينفعهم عملهم يوم القيامة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية : ٢- ٤] ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

والمؤمن يعلم أن عمره محدود ، ونوافل الطاعات كثيرة ومتنوعة ، فيحرص على الأعمال المضاعفة الأجور ، والعمل في الأوقات المفضلة بقدر ما يتيسر له مع بذل الجهد وشحذ الهمة ، وترك التكاسل والتواني ، وذلك لبلوغ أعلى الدرجات .

فيحرص على أن يكون عمله موافقًا للسنة ، بعيدًا عن البدع ؛ لأن كل بدعة ضلالة ، ولأن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .

شهوات النفس وحظوظها تمنع من تمام العبادة :

فالنفس تدعو إلى الطغيان ، وإلى التفلت من الواجبات ، فترى بعض الناس يسترسلون مع شهواتهم ، في كل وادٍ يهيمون ، لا هم لهم إلا الشهوة والمتعة الزائلة ، يحيون كالأنعام ، بل هم أضل ، وترى فريقًا من الناس يقتل رغبات نفسه ويقهرها على الطاعة ، ولكن على غير هدى ، فيبتدعون ، ويخرجون عن منهاج الشرع ، كالرهبان ومن على شاكلتهم من أهل التصوف ، وقد قال تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] .

ولهذا حذر النبي ﷺ أصحابه من هذا المنهج ، فقال : « خذوا من الأعمال ما تطيقون » . وقال ﷺ : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

أما أهل السنة المتبعون لهدي النبي ﷺ فيسعون لتهذيب أنفسهم ، مستعينين باللّه تعالى ، مقتفين أثر النبي ﷺ ، لا يقتلون الرغبات البشرية ، بل يوجهونها لتكون عونًا لهم على طاعة اللّه ، متمسكين بقول النبي ﷺ : « أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وللحديث بقية .